

الخطاب الدعوي عند بديع الزمان النورسي إثبات اليوم الآخر أنموذجاً

تقديم: أ/ محمد عثمان عبد الله (★)

تحرير: أ/ عبد الله محمد البشير (★★)

الحمد لله حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلين، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

تم بحمد الله وحسن توفيقه انعقاد منتدى الشريعة السادس في شهر
أغسطس 2005م في مسجد الكليات بالجامعة، وحضره عدد لا بأس به من
الأساتذة والطلاب.

انطلقت أعمال المنتدى في الساعة الحادية عشرة والنصف،
واستمرت إلى الساعة الواحدة والنصف ظهرا.

افتتح المنتدى بآيات مباركات من أي الذكر الحكيم، ثم قدم الأستاذ
محمد عثمان عبد الله الورقة الرئيسة للمنتدى وحوت العناصر التالية:

1. نبذة عن حياة النورسي.
2. منهج النورسي في الدعوة.
3. إثبات اليوم الآخر عند النورسي.

(★) أستاذ محاضر بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية.

(★★) أستاذ محاضر بقسم الشريعة والقانون، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية.

4. منزلة الإيمان بالحشر في الإسلام.
5. أدلة إثبات اليوم الآخر عند النورسي.
6. شذبهات حول الإيمان باليوم الآخر.

1. نبذة عن حياة سعيد النورسي:

وُلِد سعيد النورسي سنة 1293هـ (1876م) في قرية (نورس) التابعة لولاية بتليس، شرقي الأناضول بتركيا، وتتلذ على يد أخيه الكبير "المُلا عبد الله"، واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو، ثم بدأ يتنقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس، ويتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المهمة بشغف عظيم، يرفده نكاؤه المشرق، الذي اعترف به أساتذته جميعاً بعد امتحانات صعبة كان يجريها له كل منهم. واجتمع له الذكاء مع قوة الحافظة، إذ درس واستوعب وحفظ العديد من كتب العلم في فترة وجيزة.^[1]

ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن فاق في مناقشاته علماء منطقته جميعاً، فسموه "سعيد المشهور"، ثم ذهب إلى مدينة "تللو" حيث اعتكف مدة في إحدى الزوايا، وحفظ هناك القاموس المحيط للفيروزي أبدي إلى باب السين.^[2]

وفي سنة 1982م ذهب المُلا سعيد إلى "ماردين" حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة، ويجب على أسئلة الناس فوشري به إلى الوالي، فأصدر أمراً بإخراجه، وسبق إلى "بتليس"، فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم، ألحَّ عليه أن يقيم معه، وهناك وجد فرصة سانحة لمطالعة

¹ سيرة ذاتية، سعيد النورسي، ص36. مطبعة سوزلر - إستانبول - ترجمة إحسان قاسم، الطبعة الأولى: 1998م.

² المصلى بنفسه، ص38-39.

الكتب العلمية، لاسيما علم الكلام، والمنطق، وكتب التفسير، والحديث الشريف، والفقه، والنحو، حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم نحو ثمانين متناً.^[3] بعد القرآن الكريم.

وفي سنة 1894م ذهب إلى مدينة "وان" وانكبَّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، والفلسفة، والتاريخ، حتى تعمقَ فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسميَ بـ "بديع الزمان"، اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.^[1]

وأثناء ذلك نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني "غلاستون"^[2] قد صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: (ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به)^[3]

زلزل هذا الخبر كيان سعيد وأقضى مضجعه فأعلن لمن حوله: (لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها). فشدَّ الرحال إلى استانبول عام 1907م، وقدم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" على غرار الأزهر الشريف، تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام، وتُدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية

³ المصدر نفسه ص 42-44.

¹ المصدر نفسه، ص 45.

² هو وليم جلاستون (1809 . 1898م) تقلد عدة مناصب وزارية وتعمق في دراسة الشؤون الدينية، فكان من أوّل الدّولة وعلاقتها بالكهنة³ رئيساً للوزراء أربع مرّات، ألغى الكنيسة الأيرلندية. انظر المصدر السابق، ص 65.

³ المصدر نفسه، ص 65.

الحديث، وبامتزاجها تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصّب الذميمة في ذلك.^[4]

وكانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك، فتجمّع الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة علم نادرة، فاعترف له الجميع بالإمامة وبأنهم لم يشاهدوا أحداً في مثله في علمه وفضله، حتى لآحدهم عبّر عن إعجابه الشديد بعد أن اختبره اختباراً دقيقاً، فقال: (إن علمه ليس كبيراً، وإنما هو هبة إلهية، وعلم لدني).^[1]

وفي سنة 1911م ذهب إلى بلاد الشام، وألقى خطبة بليغة من على منبر الجامع الأموي، دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، وبيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية وسبل علاجها، ثم رجع إلى استانبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان فوعده خيراً، وفعلاً خصص مبلغاً لذلك وشرع في وضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف بحيرة "وان"، غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع.^[2]

وعلى الرغم من معارضة سعيد النورسي لدخول الدولة العثمانية الحرب، فإنه حالما أعلنت اشتراكه هو وطلابه في الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القوقاس. وعندما دخل الجيش الروسي مدينة "بتليس" كان بديع الزمان دافع مع طلابه عن المدينة دفاعاً مستميتاً، حتى

4 المصدر نفسه، ص 47-48.

1 بديع الزمان سعيد النورسي وجوانب مجهولة.

2 بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وأثاره، د. إحسان قاسم الصالحي، ص 36، سوزلر للنشر - استانبول: 1976م.

ذَهَبَ جُرْحاً جرحاً بليغاً، وأُسر من قبل الروس، وسيق إلى معتقلات الأسر في سيبيريا^[3] وفي الأسر استمر في إلقاء دروسه الإيمانية على الضباط الذين كانوا معه والبالغ عددهم (90) ضابطاً، ثم هرب من الأسر بأُعجوبة نادرة وبعناية ربانية واضحة، ومرَّ في طريقه بوارسو وألمانيا وفيينا، وعندما وصل إلى استانبول مُنح وسام الحرب، واستُقبل استقبلاً رائعاً من قبل الخليفة، وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، وكَلَّفته الدَّولة بتسُدُّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلا ما عيَّنته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية" التي كانت لا تُوجِّهه إلا لكبار العلماء،^[1] فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية، منها: تفسيره القِيم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" الذي أَلَّفه في خضم المعارك، "والمثنوي العزي النوري".

وبعد دخول الغزاة إلى استانبول، أحسَّ النورسي أنَّ طعنة كبيرة وُجِّهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك شمَّر عن ساعد الجد، فبدأ بتأليف كتابه "الخطوات الست" هاجم فيه الغزاة بشدة، وأزال دواعي اليأس الذي خيَّم على كثير من الناس^[2] ولشهرته الواسعة وجهاده المتواصل دُعِيَ إلى أنقرا عدة مرات، فتوجَّه إليها سنة 1922م، حيث استُقبل في محطة القطار بحفاوة من قبل أركان الدولة، لكن سرعان ما خاب ظنه فيمن دعوه، إذ وجد أنَّ معظمهم لا يؤدُّون الفرائض الدينية، فوجَّه كلمة إلى المجلس النيابي (مجلس المبعوثان) خطاباً مؤثِّراً استهله ب: أيُّها المبعوثان إنَّكم لمبعوثون ليومٍ عظيم، وهناك أيضاً عرض مشروع إنشاء الجامعة

³ مصدر سابق، ص 39-40.

¹ المعات - شعبة النورسي. ص 361 - دار سوزلر للنشر - استانبول - الطبعة الأولى: 1993م.

² سورة ذاتية - معبد النورسي - ص 123 - مصدر سابق.

الإسلامية، فلقي القبول، إلا أن ملابسات سياسية حالت دون إكمال المشروع.^[3]

وفي سنة 1923م توجه بديع الزمان إلى مدينة "وان"، واعتزل الناس في جبل "أرك" القريب من المدينة طوال سنتين متعبدًا متأملًا^[4] وعلى الرغم من ذلك لم ينج من شرارة الفتن والاضطراب اقتضى مع الكثيرين إلى "بورديو" ووصل إليها في شتاء سنة 1926م، ثم نُفي وحده إلى ناحية نائية وهي "بارلا" جنوب غربي الأناضول، وهناك أَلَّفَ معظم "رسائل النور"، وتسربت هذه الرسائل عن طريق الاستنساخ اليدوي، وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها، إذ ما كان الأستاذ النورسي يُساق من منفى إلى آخر، ويُزج في السجون والمعتقلات، إلا وقبض الله من يستنسخ هذه الرسائل وينشرها، فأيقظت في الأمة روح الإيمان الراكدة.^[1] لم يكن عند النورسي أي مصدر عند كتابته للرسائل سوى القرآن الكريم، فكان يستلهم من الآية الكريمة معانيها، ويعيش حالات قلبية وروحية خالصة في أجوائها، فيملي على المختصين بالكتابة من الطلبة- بسرعة فائقة- ما يفتح الله عليه، وما يرد على قلبه من معاني الآيات الكريمة. ولم يكن لتلك السوانح القلبية من وقت معين ولا مكان معين، فألَّفَ (130) رسالة في عشرة مجلدات كبيرة تحت عنوان "كليات رسائل النور"، تُرجمت إلى ما يقارب (30) لغة عالمية.

2. منهج النورسي في الدعوة:

³ مصدر سابق،

⁴ بديع الزمان سعيد النورسي. نظرة عامة عن حياته وأثاره، د. إحسان قاسم الصالحي، ص (55).

¹ سعيد النورسي، رجل القلوب، أدرخاند محمد علي ص 134 وما بعدها.

إنَّ لسعيد التورسي منهجه الخاص به في الدعوة، لقد ركَّز من خلال رسائله على بعث الإيمان في النفوس من خلال البراهين والأدلة العديدة التي ساقها في إثبات الإيمان وإعجاز القرآن، والتي تختلف عن منهج علم الكلام، يقول في بعض رسائله: (..جقاً إنَّ معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت علماً نهج القرآن الكريم المعجزة، فإنها تصبح معرفة تامة وتكسب الاطمئنان الكامل في القلب. وكما أنَّ معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة، فإنَّ المعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة المُستقاة من القرآن الكريم مباشرة من قبل ورثة الأنبياء)^[2]

لقد كان من أهم الأسس التي تقوم عليها دعوة التورسي، تقوية أسس الإيمان، لأنَّ أفكار المسلم وحياته العلميَّة وعالمه بأجمعه مبني على هذه الأسس، فإن لم تكن الأسس قوية، فإنَّ القيام بإصلاح السقف أو الجدران وتزيينها لن ينقذ البناية.

لقد كان يقول: إنَّ أهم خطر يتعرَّض له المسلمون اليوم هو فساد قلوبهم بالضلال الوارد إليهم من العلوم، ومن الفلسفة واهتزاز وتقويض إيمانهم) لقد تأمَّل وفكَّر بعمق في آيات القرآن الكريم، وكتب مستلهماً منها (130) رسالة أثبت فيها وجود الله تعالى ووحدانيته وصفات كماله، وضرورة الوحي والنبوة، وعقيدة الآخرة، والحشر، والإيمان بالقدر، وموضوعات أخرى عديدة بأسلوب مقنع ورسين، يشبع حاجة العقل والقلب.

¹ المكتوبات، سعيد التورسي، ص 306 - مطبعة سوزلر - استانبول - الطبعة الأولى: 1992م

وفي هذه الورقة نقدّم طريقة النورسي في إثبات اليوم الآخر، بعرض بعض المقتطفات من رسائله التي تمثّل القليل جداً مما في رسائله، ونقدّمها أنموذجاً في عرض قضية الإيمان وإحيائها في النفوس.

3. إثبات اليوم الآخر عند النورسي:

لقد اهتم النورسي باليوم الآخر وإثباته لثلاثة أسباب:

أولها: أنّ رسائل النورسي هي تفسير شهودي عميق للقرآن الكريم، وهذا الموضوع هو الموضوع الثاني بعد وجود الله ووحدانيته في القرآن الكريم.

ثانيها: أنّ عصره عصر شك مخيف في غيبيات الإسلام كلها ومنها الآخرة، فقد ظهر الإنكار والاستهزاء بآيات الله في أمور الدنيا والآخرة.

وثالثها: أنّ الأمة الإسلامية من حيث العموم قد برد إيمانها بالآخرة، فلم يعد أبناؤها يهزهم خبر اليوم الآخر، ولم يعودوا يعملون لذلك اليوم العظيم، فابتعدت حياتهم عن أن توزن بميزان الإسلام الحق، فأراد النورسي أن يرجعهم إلى الحق، ويثبت لهم ذلك اليوم كأنتهم يرونه، كي يهز أعماقهم، ويحرّك وجدانهم من أجل العودة إلى الله تعالى. وهو في إثباته لضرورة الحشر، يلجأ إلى استقرارات تفصيلية من حياة الناس اليومية، ومشاهد الطبيعة المنظورة، والتحليلات الفكرية التجريدية لينسخ منها بلغة العصر ومصطلحاتها دليل ضرورة يوم الحساب^[1].

1 هذه الأدلة على ضرورة الآخرة وإبانتها وإمكان الحشر الجسماني مبسطة بطريقة تفصيلية أكثر في رسالة الحشر في كتابه "الكلمات" في (80) صفحة (47-128)، وفي غيرها من كتبه.

نرجو أن نقدّم في هذه الورقة بعض المقتطفات من رسالة الحشر ومن غيرها، والتي نرجو أن لا تكون مخلة، ومن خلالها نرجو كذلك أن نُدير نقاشاً حول هذه المنهجية في الخطاب العقدي والدعوي للنورسي.

4. منزلة الإيمان بالحشر في الإسلام:

نسبة لما للحشر من أهمية في حياة المسلم المادية والمعنوية، كدأف جميع الأنبياء بالحث على النظر إليه والشهادة عليه وتبشير البشرية بسعادتها الأبدية فيه، وإنذار أهل الضلالة بشقاوتهم فيه ومصيرهم الناري.

والحشر ضرورة منطقية وعقلية تفرضها العدالة الكونية، إذ ليس من الممكن تصوّر أنّ الرب الرحيم ذا القدرة المطلقة والحكمة المحيطة، لا ينشئ "النشأة الآخرة" أو أنه يعجز عنها، وهو الذي له ملك السماوات والأرض.

والحشر حقيقة كونية لا مرأى فيها، لا ينكرها إلا مكابر، إذ الذي يقوم بأعمال في منتهى الإتقان والكمال والانتظام يُبدّل هذه العوالم السيارة المنشورة على حبل الزمان، يعقب بعضها بعضاً، كيف يشاء في إطار يظهر منتهى القدرة والإتقان، ذلك أنّه قدير مطلق، وحكم مطلق، وبصير مطلق، وعليم مطلق، لا يمكن بحال من الأحوال أن تبدو منه المصادفة قطعاً، فذلّم الخالق الجليل يقول: **إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [1] **إِنَّ السَّاعَةَ إِلاَّ كَلِمَةٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** [2]. يُعلن قدرته المطلقة، ويبين أنّ الحشر والقيامة بالنسبة لتلك القدرة يُعدّ في منتهى

¹سورة يس: الآية: 82.

²سورة النحل: الآية: 77.

السهولة واليسر، وأنَّ الأشياء كلها مسخرة لأوامره ومنقادة إليها كامل الانقياد، وأدَّه يخلق الأشياء دون معالجة ولا مزاولة ولا مباشرة، ولأجل الإفادة عن السهولة المطلقة في إيجاد الأشياء، يقرر القرآن المبين أدَّه سبحانه وتعالى يفعل ما يُريد بمجرد الأمر.^[3]

5. أدلة إثبات اليوم الآخر:

يقدم النورسي في إثبات اليوم الآخر أدلة كثيرة يمكن أن نجمل أهمها على الوجه الآتي:

الأول: ما دمنا آمننا بالله تعالى وبوحدانيته، فإدَّه يكون من الحتم الإيمان حينئذٍ باليوم الآخر. لأنَّ كمال بعض الصفات الإلهية لا يتحقق أمامنا في هذه الدنيا حسب ظاهر ما نرى، فلا بُدَّ من يومٍ تتحقق فيه تلك الصفات بوضوح وجلاء، وإلا قلنا بأنَّ هذه الحياة عبث، ولكن كيف يكون عبث في خضم التنظيم والتناسق في نظام الكون؟ كيف يمكن أن يشذ نظام أشرف مخلوقات الله، وهو الإنسان، عن نظام الكون؟

يقول النورسي: (وما دام الرب سبحانه كما في هذه الحقيقة- يجب الإنسان، ويحبب نفسه إليه، وهو باق، وله عوالم باقية، ويُجري الأمور وفق عدالته، ويعمل كل شيء وفق حكمته، وإنَّ عظمة سلطان هذا الخالق الأزلي وسرمدية حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولا يكيفهما عُمر الإنسان القصير جداً، ولا عُمر الأرض المؤقتة الفانية. حيث يظل الإنسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يقترفه من إنكار وكفر وعصيان، تجاه مولاه الذي أنعم عليه وربَّاه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي نظام الكون المنسق، ويخالف العدالة والموازنة

³ الكلمات 216، المطبعة الرابعة (2004م) - شركة سونار للنشر - مصر - القاهرة

الكاملة التي فيها, ويُخالف جماله وحسنه, إذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة, بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش. فلا شك أنّ ماهية تلك العدالة المطلقة - التي تشاهد آثارها في الكائنات - لا تقبل أبدأً, ولا ترضى مطلقاً, عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين الذين يتساوون معاً أمام الموت^[1].

الثاني إنّ خالق هذا الوجود له كمال باهر وجمال معنوي زاهر, ولا شك أنّ الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي إعلانه على رؤوس الأشهاد من المعجبين المستحسنين, ويتطلب إعلانه أمام أنظار المقدّرين لقيّمته. أمّا الجمال الخفي الذي لا نظير له, فيستلزم الرؤية والإظهار, أي رؤية جماله بوجهين:

أحدهما: رؤيته بذاته جماله في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة.

وثانيهما: رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له. وهذا يعني أنّ الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهوراً, مع مشاهدة دائمة, وشهود أبدي, وهذا يتطلب حتماً خلود المشاهدين المشتاقين المقدّرين لذلك الجمال, لأنّ الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل. لأنّ المشاهد المحكوم عليه بالزوال يبدل تصور الزوال محبته عداءً وإعجابه استخفافاً, وتوقيره إهانةً, إذ الإنسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه, ولما كان الجميع يغادرون دور الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال, بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات

¹ المصدر نفسه، ص 112

سريعة فالرحلة إذًا منطلقة إلى مشهد دائم خالد ليحققوا فيه هذه الضرورة في حياتهم، حتى لا يبقى للجمال والكمال السرمدى مستورا^[1].
الثالث: الثوب العالمين قد كلف الإنسان في هذه الحياة الدنيا بأمر يعملها ويبدل فيها جهده كنصب العبادة في الصوم، وإخراج المال في الزكاة، فمن غير المعقول أن يكلفهم خالفهم في هذه الدنيا، ولا يجزيهم في دار أخرى.^[2]

الرابع: قانون البناء والهدم أو الحياة والموت، قانون جار في الوجود، إذ أن مظاهر الوجود المادي كلها بين هدم وبناء أو بين حياة وموت. ولقد نبه القرآن الكريم إلى هذا الدليل في آيات كثيرة، لأدته محسوس قطعي ملاحظ يدركه الناس جميعاً، منها قوله تعالى: **بَرَأْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارَكًا فَأَنْزَلْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الذُّرِّ الْأَصْفَرَ الذُّرَّ الَّذِي لَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَلَا الْبَهَائِمُ** [3] أي يوم القيامة، بالقانون نفسه.

ولقد أكثر النورسي في رسائل النور من ذكر هذه الآيات الكريمة كلما تحدث عن عظمة الخلق أو قيام الحشر.^[4]

الخامس: إنكار الآخرة يعني إنكار تجليات الأسماء الحسنی لله الخالق الذي آمنأ به، ففي تجلي اسم الرب يقول: "أمن الممكن لمن له شأن الربوبية وسلطة الألوهية، فأوجد كوناً بديعاً كهذا الكون؛ لغايات سامية ولمقاصد جليلة، إظهاراً لكماله، ثم لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا

¹ المصدر نفسه، ص 51.

² المصدر نفسه، ص 53-54.

³ سورة ق: الأيتان: 12، 11.

⁴ المصدر السابق: ص 111.

تلك الغايات والمقاصد بالإيمان والعبودية، ولا يعاقب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض والاستخفاف"^[1]

وفي تجلي اسم الكريم والرحيم يقول: "أمن الممكن لرب هذا العالم ومالكة الذي أظهر بآثاره كراماً بلا نهاية، ورحمة بلا نهاية، وعزة بلا نهاية، أن لا يقدر مثوبة تليق بكرمه ورحمته للمحسنين، ولا يقرر عقوبة تناسب عزته وغيرته للمسيئين؟"^[2]

وفي تجلي اسم الحكيم والعدل يقول "أمن الممكن لخالق ذي جلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداءً من الذرات وانتهاءً بالمجرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان، أن لا يعامل بالإحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وأن لا يجازي أولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة؟"^[3]

وهكذا يستمر في إثارة هذه الأسئلة بالنسبة للأسماء: المجيب والجليل والباقي والحفيظ والرقيب والجليل والحي والقيوم والمحيي والمميت والحق والجواد والجميل، ويدبر حولها رسالة كاملة من خلال أجوبة عقلية وأبحاث عميقة في غاية القوة والمتانة^[4]

السادس: أمن المعقول أن نكذب عشرات الألوف من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وهم في أرقى المقامات البشرية، عقلاً وقلباً وروحاً ونفساً، وهم يخبرون أن البشرية ستموت وتحيا ليوم الحساب والجزاء.

¹ المصدر نفسه: ص 65.

² المصدر نفسه: ص 65.

³ المصدر نفسه: ص 68.

⁴ الكلمات: الكلمة العاشرة، "رسالة الخضر" 47-128.

يقول النورسي: **لله إنَّ جميع المعجزات الدّالة على رسالة سيدنا محمد^ص مع جميع دلائل نبوته وجميع البراهين الدّالة على صدقه، تشهد بمجموعها معاً على حقيقة الحشر، وتدل عليها وتثبتها، لأنَّ دعوته^ص طوال حياته المباركة قد انصبّت بعد التوحيد على الحشر. وأنَّ جميع معجزاته وحججه الدّالة على صدق الأنبياء عليهم السلام- وتحمل الآخرين على تصديقهم- تشهد على الحقيقة نفسها، وهي الحشر. وكذا شهادة "الكتب المنزلة" التي أرقّت الشهادة الصادرة من الرسل الكرام إلى درجة البدهة، تشهدان على الحقيقة نفسها"^[1]**

السابع يؤكّد النورسي أنَّ وجود الله لا يستلزم اليوم الآخر فحسب، وإنّما الأركان الإيمانية الأخرى كالإيمان بالملائكة، وعالم الأرواح، والإيمان بالقدر دليل على وجود الآخرة. فكل ما يثبت لتلك الأركان يثبت للحشر ثمَّ يلخص كلاماً دقيقاً وعميقاً حول هذا الموضوع بقوله: "إنَّ جميع دلائل الأركان الخمسة هي بدورها دلائل الحشر ووجوده، وعلى النشور وحدوثه، وعلى وجود الدّار الآخرة وانفتاح أبوابها، بل تستدعيه وتشهد عليه، لذا فإنّه من الوفاق الكامل والانسجام التام أن يبحث ثلث القرآن الكريم المعجز البيان بكامله عن الحشر، لما له من الأسس والبراهين التي لا تتزعزع، ويجعله أساسه وركيزة لجميع حقائقه التي يرفعها على ذلك الحجر الأساس"^[2]

٦٥٠ هـ بهات حول الإيمان باليوم الآخر:

¹ المصدر نفسه: ص 107.

² المصدر نفسه: ص 114.

وبعد ذلك يجيب على سؤال السائل الذي يقول: "أما بضرورة اليوم الآخر، ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا مع موت الخلائق الكثيرة قبلنا وموت الخلائق الكثيرة بعدنا". فيقول: "فالأية الكريمة: [مَخْلُوقَكُمْ وَلَا بَعْدَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ] [1]. تفيد أن خلق جميع البشر وحشرهم سهل ويسير على القدرة الإلهية، كخلق إنسان واحد وحشره فمثلاً: لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوَاءِ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [2]. ولا جدال في الأمثال - أن الشمس مثلما تُرسل ولو إرادياً - ضوءها بسهولة تامة إلى ذرة واحدة، فإنها ترسله بسهولة نفسها إلى جميع المواد الشفافة التي لا حصر لها، وذلك بسر "النورانية". وأن أخذ بؤبؤ ذرة شفافة واحدة لصورة الشمس مساوٍ لأخذ سطح البحر الواسع لها، وذلك بسر "الشفافية" وأنَّ الطفل مثلما يمكنه أن يحرك دميته الشبيهة بالسفينة، يمكنه كذلك أن يحرك السفينة الحقيقية، وذلك بسر "الانتظام" الذي فيها. وأنَّ القائد الذي يسير الجندي الواحد بأمر سُرر، يسوق الجيش بأكمله بالكلمة نفسها، وذلك بسر "الامتثال والطاعة" وإذا افترضنا ميزاناً حساساً جداً في الفضاء، بحيث يتحسس وزن جوزة صغيرة في الوقت الذي يمكن أن توضع في كفتيه شمسان. ووجدت في الكفتين جوزتان أو شمسان، فإنَّ الجهد المبذول لرفع إحدى الكفتين إلى الأعلى والأخرى إلى أسفل، هو الجهد نفسه، وذلك بسر "الموازنة". فما دام أكبر شيء يتساوى مع أصغره، وما لا يُعدُّ من الأشياء يظهر كالشيء الواحد في هذه المخلوقات والممكنات الاعتيادية - وهي ناقصة فانية - لما فيها من (النورانية والشفافية والانتظام والامتثال والموازنة) فلا بُدَّ أنَّهُ يتساوى أمام القدير

¹ سورة لقمان، الآية: 28.

² سورة النحل: آية 60.

المطلق القليل والكثير، والصغير والكبير، وحشر فرد واحد وجميع الناس بصيحة واحدة، وذلك بالتجليات "النورانية" المطلقة في ملكوتية الأشياء، و"انتظام" الحكمة والقدرة، و"امتثال" الأشياء وطاعتها لأوامره التكوينية امتثالاً كاملاً وبسرّ "موازنة" الإمكان الذي هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم^[1]

وينتهي النورسي من أبحاثه المتشابهة حول الحشر الأعظم إلى أنّ مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية، حيث لا يمكن أن تزحزحها أي قوة مطلقاً. ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يقرر تلك الحقيقة بمقتضى أسمائه الحسنی جميعها وصفاته الجليلة كلها، وأنّ رسوله الكريم ρ يصدقها بمعجزاته وبراهينه كلها، والقرآن الكريم يثبتها بجميع آياته وحقائقه، والكون يشهد له بجميع آياته التكوينية وشؤونه الحكيم^[2]

وبعد جولات الإثبات العلمية والعقلية والشواهد التاريخية، يُعالج النورسي علة مجيء اليوم الآخر فيقول: "وبمجيئ الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته، وتُصان من السقوط وتسود عدالته المطلقة، وتنجو من الظلم وتُنزّه حكيمته العامة وتبرأ من العبث، وتبدو عزته وقدرته المطلقتان وتُنقذان من العجز الدليل. وتتقدّس كل صفة من صفاته سبحانه وتتجلى منزّهة جليلة".

¹ المصدر نفسه: 98.

² المصدر نفسه: 96.

فلا بُدَّ ولا ريب مطلقاً - أنَّ القيامة ستقوم، وأنَّ الحشر والنشور سيحدث، وأنَّ أبواب دار الثواب والعقاب ستُفتح^[3] ولمَّا الفوائد البشرية من الإيمان باليوم الآخر فكثيرة ويكفي أن نقول:

- إنَّ آلام الأطفال بموت أطفال مثلهم، لن يخفيها إلا إيمانهم بالجنة.

- الشيوخ وشعورهم باليأس القاتل نتيجة انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، لن يحيلها إلى الأمل إلا الإيمان باليوم الآخر.

- الشباب لن يقف أمام طيشهم وتجاوز الحدود إلى الظلم والخراب إلا إيمانهم بالنار.

- الحياة العائلية لن تترابط بالمودة والحب والإيثار والوفاء الخالص إلا الإيمان بوجود علاقات قرابة وصداقة أبدية^[1]

ثم يجيب النورسي على سؤال خطير، وهو: لماذا ذلك الإحياء يكون في الدنيا تدريجياً وفي الآخرة فجأة؟ فيقول: "إنشاء جميع الأشجار والأوراق التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية، دفعة واحدة في غضون بضعة أيام في الربيع، وبشكل كامل، وبالهيئة نفسها التي كانت عليها في الربيع السابق... وكذلك إيجاد جميع أزهار الأشجار وثمارها وأوراقها بسرعة خاطفة، كما كانت في الربيع الماضي... وكذلك تنبُّه البُذيرات والنوى والبذور وهي لا تُحصى ولا تُعد، والتي هي منشأ ذلك الربيع في آنٍ واحد معاً وانكشافها وإحيائها... وكذلك نشور الجثث

³ المصدر نفسه، 113.

¹ المصدر نفسه، 104-106.

المنتصبة والهيكل العظمية للأشجار، وامثالها فوراً لأمر البعث بعد الموت. وكذلك إحياء أفراد أنواع الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لا حصر لها بمنتهى الدقة والإتقان. وكذلك حشر أمم الحشرات ولاسيما الذباب الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بني آدم جميعهم من لدن آدم عليه السلام. فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع سائر الحشرات الأخرى وإحيائها في بضعة أيام، لا يُعطي مثلاً واحداً، بل آلاف الأمثلة على إنشاء الأجساد البشرية فوراً يوم القيامة".

نعم لما كانت الدنيا هي دار "الحكمة" والدار الآخرة هي دار "القدرة" فإنَّ إيجاد الأشياء في الدنيا صار بشيء من التدرُّج ومع الزمن بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب أغلب الأسماء الحسنَى أمثال "الحكيم، المرتب، المدبر، المرَبِّي"، أما في الآخرة فإنَّ "القدرة" و"الرحمة" تظهران أكثر من "الحكمة"، فلا حاجة إلى المادة والمدة والزمن ولا إلى انتظار، فالأشياء تنشأ هناك نشأة آنية"^[1].

رابعاً : تعقيب الأستاذ: حسن أبو القاسم:

- شكر الأستاذ/ محمد عثمان على ما قدم في ظل هذه الملابس التي تمر بها الأمة، إذ كشف لنا عن حياة وسيرة وجهود عالم جليل وداعية كبير ظل طي النسيان بالنسبة للكثيرين من الطلبة والدارسين.

- أوضح بأنه كانت هناك عوامل أدت إلى أن تكفل مجهود هذا الداعية بالنجاح، ومواضع العبرة في سيرته أجملها في النقاط الآتية:

¹ المصدر نفسه: ص 122

1. الصفات التي تميز بها: صفات ذاتية وصفات مكتسبة، ولعمري إنَّ هذا هو الذي نسعى إليه بين طلابنا وفي مجتمعنا أن نوجد هذه الصفات الذاتية ولا يكتفون بها بل ينمونها بالصفات المكتسبة، ففي الصفات الذاتية كان يتمتع بالذكاء الحاد مع قوة الحافظة، أسوة بالرسول μ الذي كان يُحرك شفثيه رغبة في حفظ القرآن حتى نزل قوله **تَعَلَّمْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**^[2]
2. يُلاحظ أنه كان يتمتع بالصبر حيث كان يقضي حياته ويُجهد نفسه في تلقي العلم، والصبر قيمة ضرورية لتلقي العلم ولتحمل المصائب وابتلاءات الدعوة، وكل هذا توفر لهذا الداعية.
3. كان يتمتع بروح المبادرة لتجاوز الخمول والجمود والكسل، فلا بد من روح الابتكار. من الأمثلة على ذلك اقتراحه إنشاء مدرسة الزهراء على غرار الأزهر وتدمج فيها العلوم الشرعية والكونية.
4. وكذلك مقترحه لعبد الحميد الثاني بإنشاء جامعة في شرق الأناضول.
5. كان يتمتع في صفاته الذاتية بالغيرة على الدين وتمثل ذلك عندما قرأ في الصحف أن وزير المستعمرات البريطانية قال لا بد من القضاء على القرآن أو تقطع صلة المسلمين به، فهذا الخبر هز كيانه وأقض مضجعة.
6. كان لديه استعداد للتضحية في سبيل الوصول إلى أهدافه الدعوية والبذل والعطاء فهو ليس كسولاً ولا جاهلاً ولا خاملاً فهو به من الأسر في سببها يدل على روح المغامرة.

² سورة القلم: الآية: 16

7. كان لديه روح المجاهدة والمثابرة فلا يكاد يستقر به المقام في مكان إلا وينتقل إلى غيره ولا يكاد يتجاوز عقبة حتى يمر إلى سواها.
8. ومن الصفات المكتسبة إيمانه العميق بقضيته وهي إعادة المؤمنين إلى عزهم وإعادة الدين إلى نفوسهم.
9. ومن صفاته المكتسبة تزوده بالعلم الشرعي من مصادره المعتمدة إذ حفظ نحو ثمانين متناً في مختلف الفنون، إلى جنب حفظه للقرآن الكريم.
10. ومن صفاته المكتسبة العلم باللغة العربية، فقد حفظ القاموس المحيط للفيروز أبادي ودرس النحو والصرف.
11. من صفاته المكتسبة براعته في العلوم الكونية، فدرس الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وبلغ درجة التأليف في بعضها، فلا بد من إعداد الدعاة في هذه العلوم إلى جنب العلوم الشرعية.
12. من الصفات المكتسبة: استيعابه لقضايا عصره وهموم مجتمعه الذي يعيش فيه وهذا واجب كل داعية: ففي الجامع الأموي بيّن أمراض الأمة وأرشد إلى سبل علاجها.
13. من الصفات المكتسبة: سعيه المتواصل إلى تزكيه النفس أي الاعتناء بالجانب الروحي وأخذ النفس بالذكر والعبادة. فنحن أمام شخصية فذة يمكن أن تدرس سيرتها وأن نستفيد منها لإعداد الدعاة.

خامساً : تعقيب د. عثمان المهدي:

* الشكر والتقدير للأخ/مقدم الورقة الذي لفت أنظارنا لحياة الداعية

لنستفيد منها, والشكر للأستاذ/ حسن أبو القاسم الذي ركز فيها على إعداد الدعوة من خلال سيرة الداعية بديع الزمان, وتكملة لما قاله الأستاذ/ حسن, أُقدم الوسائل التي اتبعتها بديع الزمان.

باطلاعي على هذه الورقة وجدنا أن الشيخ/ بديع الزمان قد تناول عدة وسائل منها:

الخطاب المباشر: يتميز خطابه في كثير من الأحيان بالنفوذ إلى الروح والعقل والذوق, والخطاب المباشر من الوسائل الناجحة في الدعوة. مثال ذلك خطاب الممثلين حين رأهم لا يصلون.

1. التنقل والارتحال في تبليغ الدعوة.
2. الجهاد في سبيل الله, والجهاد ذروة سنام الإسلام, فجاهد الإمام بنفسه وحرص تلاميذه عليه, وعُذّب, وجُرح وأُسر.
3. تحينه الفرص لا للاستفادة في تأسيس المشاريع, وهكذا على الداعية تحين الفرص المناسبة واستثمارها.
4. رفضه للوظائف التي وكلت له, فعلى الدعاة أن يترفعوا عن سفاسف الأمور, وأن يتحاشوا أبواب السلاطين.

مداخلة: د. أحمد فضل الله إحيمر:

السؤال: كيف لمثل هذه الكتيبات أن تقدم الأمة؟؟ وباطلاعي على الرسائل عرفت أن سلاحه النافذ الإخلاص لرب العالمين.
- من خصائص بديع الزمان: أن أمه كانت لا ترضعه إلا على طهارة كاملة- وتحري والده للحلال: حتى كمن أفواه المواشي حتى لا تتناول من مزارع الناس.

- إتقانه لأربع لغات: الكردية والفارسية والعربية والتركية.
- أهم أهداف هذه الرسائل خدمة القرآن والسنة وإظهار الحقائق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد.. فهذه خاتمة قصدت منها تقديم فقرة موجزة مركزة بالنتائج التي حوّلها المنتدى وأجزها في النقاط التالية:

1. عرف المحاضر ببديع الزمان التورسي وبشخصيته الفذة وذكائه الوقاد وغيرته على الدين والقيم .

2. عرف منهج التورسي في الدعوة وتلخّص في تركيز الإيمان في النفوس من خلال البراهين والأدلة المنبثقة من منهج القرآن المغاير لمنهج علماء الكلام.

3. قدّمنا نموذجاً لمنهج التورسي تمثلاً في مقتطفات من طريقته في إثبات اليوم الآخر، فبرهن بذلك عملياً على مدى قرب منهجه من المنهج القرآني في الاستدلال على مسائل الإيمان.

4. أوضح بأنّه كانت هناك عوامل أدت إلى تكاليف جهود التورسي بالدجاج أجملها في الصفات التي تمتع بها. وقسم هذه الصفات إلى ذاتية ومكتسبة وأشار بأن الصفات الذاتية تنمي بالصفات المكتسبة، وعدّد من الصفات الذاتية: الذكاء الحاد، وقوة الحافظة، والغيرة على الدين، والاستعداد للتضحية، والتخلي بروح المجاهدة وللتأبيرة والمبادرة والابتكار،... إلخ. وعدّد من الصفات المكتسبة إيمانه العميق بقضيته، وتزوّده بالعلم

الشرعي، وسعيه للتّمكّن من اللغة العربيّة، وبراعته في العلوم الكونيّة واستيعابه لقضايا عصره، وسعيه المتواصل لتزكية نفسه... إلخ.

5. بيّن لنا وسائل الدّعوة عند التورسي فكان منها: الخطاب المباشّر، والدّنفّل والنّرحال في سبيل تبليغ الدّعوة، والجهاد القتالي، وتحيين الفرص المناسبة واستثمارها لمصلحة الدّعوة، ورفض المغريات وسفاسفالأُمور... إلخ.

6. أبرز لنا أهميّة الإخلاص في حياة الدّعاة وأنّ أهمّ الأهداف التي ينبغي أن يسعى إليها الدّاعية خدمة القرآن والسنة وإظهار الحقّ.